

الدرس (43) من شرح كتاب الفوائد لابن القيم رحمه الله

خالد المصلح

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى الله وصحبه أجمعين وبعد فقال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الفوائد فرغ القوم قلوبهم من الشواغل فضررت فيها سرادقات المحبة - 00:00:00

فأقاموا العيون تحرص تارة وترش أخرى ترافق المحبة لا يضرب إلا في قاع لا يضرب إلا في قاع نزه فارغ نزه فؤادك من سوانا والقنا فجنابنا حل لكل منزه. الصبر تل أصم - 00:00:22

عندى بالكسرة فجنابنا حل لكل منزه الصبر تل لصم لكتن وصالنا من حلم فاز بكتن اعرف قدر ما ضاع منك وابك بكاء من يدرى مقدار الفائت لو تخيلت قرب الأحباب لاقمت المأتم على بعده - 00:00:47

إيه المأتم آآ لو استنشقت ريح الأسحاق لافق منك قلبك المخمور من استطال الطريق ضعف مشيه وما انت بالمشتاق ان قلت بيننا طوال الليل أو بعيد المفاوز اما علمت ان الصادق اذا هم القى بين عينيه عزما - 00:01:17

اذا نزل اب في القلب حل اذار في العين هان يقول رحمه الله الحمد لله رب العالمين واصلني واسلم على نبينا محمد وعلى الله واصحابه أجمعين. هذه الكلمات تشبه ان تكون امثالا - 00:01:48

كما تقدم في غالب ما ذكر في هذا الفصل يقول فرغ فرغ القوم قلوبهم من الشواغل اي عن الله عز وجل وعن ما يكون مانعا من الوصول اليه فضررت فيها سرادقات المحبة - 00:02:04

اي خيام محبته حل وعلا فاقاموا العيون تحرص تارة وترش أخرى اقاموا العيون تحرس تارة ان يتطرق العدو الى هذه المنازل فيفسدها وترش أخرى اي تدمع قال رحمه الله سرادق المحبة لا يضرب إلا في قاع اي في - 00:02:23

ارض قاع وهي الارض الصالحة للزراعة لكنه قال نزه فارغ فقيده بقيده النزه اي طيب قد طيب ونقي من انى فارغ غير مشغول فان كان مشغولا فانه لا يشتغل بما ينفعه ولذلك كل من عمر قلبه بمحبة سوى الله اشتغل قلبه عن محبة الله - 00:02:51

نزه فؤادك من سوانا والقنا فجنابنا حل لكل منزه والصبر اي في الوصول الى ذلك طل اسم طل اسما لكتن وصالنا اي يحل به لغز وصالنا من حل ذا اللسم - 00:03:24

اي اه هذا اللغز او المبهم فان فاز بكتن اعرف قدر ما ضاع منك وابكي بكاء من يدرى مقدار الفائت وهذا لا شك فيه ان من عرف مقدار ما ضاع منه - 00:03:46

اشتد حزنه على ما فات لو تخيلت قرب الأحباب لاقمت المأتم على بعده صحيح لو استنشقت ريح الأسحاق يعني ما يكون فيها من سكتة من رحمات وتنزل طيور وخيرات لافق منك - 00:04:03

قلبك المخمور اي الذي غطى بما يسركه عن استثمار هذه الأوقات ولهذا لما كان الأخيار قد عرفوا عظيم ما في هذه اللحظات من الخيرات قال الله تعالى عنهم تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمئنا - 00:04:24

رزقناهم ينفقون هذه الآية الكريمة ذكر الله تعالى في سورة السجدة ذكر الله تعالى فيها حال اولئك من تجافي جنوبهم تتجافي جنوبهم عن المضاجع اي تبعد خوفا وطمئنا خوفا من الله تعالى وطمئنا فيما عنده - 00:04:47

ومما رزقناهم ينفقون فهم مشتغلون بكل ما يقربهم الى الله من الاحسان او من اوجه الاحسان قال من استطال الطريق ضعف مشيه لاعتقاده بعد لاعتقاده بعد المثال وصعوبة حصوله وما انت بالمشتاق ان قلت بيننا طوال الليل او بعيد المفاوز - 00:05:11

فان من عظمت رغبته في الوصول هان عليه ما يلقاه من مشق الطريق اما علمت ان الصادق اذا هم القى بين عينيه عزمه ونكب عن

ذكر العواقب جانباً هذا بيت لسعد بن ناشرب - 00:05:39

وهو بيان لمن انصح عزمه وعظمت رغبته لا يفكر فيما يلقاءه من متاعب للوصول الى غرضه اذا هم بالشيء ورغم في تحصيله القى
بين عينيه عزمه يعني جعل كل طاقته ومكتته في وصوله الى هدفه - 00:05:59

ولم يفكر بالعواقب اذا قال وجنب ونكب عن ذكر العواقب جانباً قال اذا نزل اب في القلب حل اذار في العين اذا نزل اب شهر حر وهو
اغسطس تقويم الدارج على السنة الناس - 00:06:28

اذا حلت اذا اذا نزل اب في القلب حل اذار في العين يعني بكت العين قال هذا قال هان سهر الحراس لما علموا ان اصواتهم بسمع
الملك وقال من لاح له حال الاخره هان عليه فراق الدنيا - 00:06:52

وقال اذا لاح للباشق الصيد نسي مألف الكف يا اقدام الصبر احملني بقى القليل تذكر حلاوة تذكر حلاوة الوصال. يهن عليك مر
المجاهدة وقال قد علمت اين المنزل فاحدو لها تسر - 00:07:17

وقال اعلى الهمم همة من استعد صاحبها لقاء الحبيب وقدم التقادم بين يدي الملتقى فاستبشر بالرضا عند القدوم وقدموا لانفسكم
وقال الجنة ترضي منك باداء الفرائض. والنار تندفع عنك بترك المعاصي - 00:07:41

والمحبة لا تقنع منك الا ببذل الروح وقال لله ما احلى زماناً تسعى فيه اقدام الطاعة على ارض الاشتياق وقال لما سلم القوم النفوس
إلى رائد الشرع علمها الوفاق على خلاف الطبع فاستقامت مع الطاعة كيف دارت دارت معها - 00:08:02

وانني اذا اصطك رقاب مطفهم وثوب حاد بالرفاق عجول اخالف بين الراحتين على الحشا وانظر اني ملسم فاميلوا قال رحمه الله
فصل علمت كلبك فهو يترك شهوته فيتناول ما صاده - 00:08:26

احتراماً لعمتك وخوفاً من سطوتك وكم علمك معلوم الشرع وانت لا تقبله وقال حرم صيد الجاهل والممسك لنفسه فما ظن الجاهل
الذى اعماله لهوى نفسه وقال جمع فيك عقل الملك - 00:08:51

وشهوة البهيمة وهو الشيطان وانت للغالب عليك من الثلاثة ان غلبت شهوتك وهو اك زدت على مرتبة ملك وان غلبك هو اك وشهوتك
نقص نقصت عن مرتبة كلب وقال لما صاد الكلب لربه ابيح صيده - 00:09:13

ولما امسك على نفسه حرم ما صاده. ولما صاد الكلب لربه يعني لصاحبه وبحصيده يعني حل اكل ما صاد الكلب ولما امسك على
نفسه يعني امسك الصيد لاجل نفسه ليأكل منه حرم ما صاده - 00:09:35

اي حرم على على سيده اكله لقول الله تعالى فكل مما امسكتنا عليكم و هذا تمثيل ان العمل اذا كان خالصاً فان الله تعالى يقبله فما كان
من العمل لله - 00:09:58

كان موضع القبول وما كان العمل لحظ النفس كان خبيثاً غير مقبول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الالهي انا اغنى
الشركاء عن الشرك من عمل عملاً اشرك فيه معي غيري تركته وشركه - 00:10:23

نعم وقال مصدر ما في العبد من الخير والشر والصفات الممدودة والمذمومة من صفة المعطي المانع فهو سبحانه يصرف عباده بين
مقتضى هذين الاسمين هذين هذين الاسمين فحظ العبد الصادق من عبوديته بهما الشكر عند العطاء - 00:10:38

والافتقار عند المنع فهو سبحانه يعطيه ليشكره ويمنعه ليفتقر اليه. فلا يزال شكوراً فقيراً مصدر ما في العبد من الخير والشر
والصفات الممدودة والمذمومة من صفة المعطي المانع اي كل ذلك يرجع الى هذين الوصفين ان الله معط - 00:11:02

مانع جل في علاه فهو سبحانه يصرف العبد بين مقتضى هذين الاسمين. مقتضى العطاء وهو الشكر ومقتضى المنع وهو الافتقار
والذل والخضوع واللجاج والالجاج فاعطيه ليشكره ويمنعه ليفتقر اليه فلا زالوا شكوراً - 00:11:26

فقيراً نعم قال رحمه الله فصل قوله تعالى وكان الكافر على ربه ظهيراً هذا من الطف خطاب القرآن وشرف معانيه وان المؤمن دائمًا
مع الله على نفسه وهو وشيطانه وعدو ربه وهذا معنى كونه من حزب الله وجنته واوليائه - 00:11:45

فهو مع الله على عدوه الداخل فيه والخارج عنه يحاربهم ويعاديهم ويغضبهم له سبحانه كما يكون خواص الملك معه على حرب
اعدائه والبعيدون منه فارغون من ذلك غير مهتمين به - 00:12:12

والكافر مع شيطانه ونفسه وهواد على ربه وعبارات السلف على هذه تدور ذكر ابن ابي حاتم عن عطاء ابن دينار عن سعيد ابن جبير قال عونا للشيطان على ربه بالعداوة والشرك - 00:12:30

وقال الليث عن مجاهد قال يظاهر الشيطان على معصية الله. يعيشه عليها وقال زيد بن اسلم ظهيرا اي مواليا. والمعنى انه يوالى عدوه على معصيته والشرك به فيكون مع عدوه معينا له على مساخط ربه - 00:12:47

فالمعية الخاصة التي للمؤمن مع ربه واله قد صارت لهذا الكافر والفاجر مع الشيطان ومع نفسه وهواد قربانه ولهذا صدر الاية بقوله ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم - 00:13:08

وهذه العبادة هي الموالاة والمحبة والرضا بمعبوديهم المتضمنة لمعيتيهم الخاصة وظاهروا اعداء الله على معاداته ومخالفته ومساخطه بخلاف وليه سبحانه فانه على نفسه وشيطانه وهواد. وهذا المعنى من كنوز القرآن لمن فهمه - 00:13:27 وعقله. وبالله التوفيق يقول رحمة الله قوله تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا وهذه الجملة اخر الاية التي كان صدرها قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم. وكان الكافر على ربه ظهير - 00:13:51

يقول رحمة الله هذا من الطف خطاب القرآن وشرف معانيه من الطف يعني من الآيات التي فيها معاني خفية دقيقة فاللطف هو ما دق وخفى قال وشرف معانيه يعني واعلم فيه من المعارف القرآن معانيه متفاوتة في في المنزلة والفضل وكله خير - 00:14:09

وفضل وان وان المؤمن دائما مع الله على نفسه وهواد وشيطانه وعدو ربه. هذا بمفهوم المخالفة. لأن الله تعالى قال وكان الكافر على ربه في ظهيره وخلافه المؤمن فان المؤمن - 00:14:38

مع ربه ظهيرا على نفسه وهواد والشيطان قال وهذا معنى كونه من حزب الله وجنته وأوليائه فهو مع الله على عدوه الداخلي وهو نفسه والخارج وهو الشيطان قرناء السوء يحاربهم ويعاديهم ويغضهم - 00:14:57 آله سبحانه اي لاجله سبحانه وتعالى كما يكون خواص الملك معه على حرب اعدائه والبعيدون منه فارغون من ذلك مهتمين به قال والكافر هذا ما دلت عليه الاية مع شيطانه - 00:15:19

ونفسه وهواد على ربه. قال وعبارات السلف على هذا تدور يعني في بيان معنى الاية وذكر فيما نقل عن سعيد ابن جبير قال كان عونا للشيطان على ربي بالعداوة والشرك - 00:15:37

ومثله كلام الليث. قال فالمعية الخاصة التي للمؤمن مع ربه واله قد صارت لهذا الكافر والفاجر مع الشيطان. وكان الكافر على ربه ظهيرا فهو مع الشيطان واما الاول فهو مع ربه على نفسه وهو هو شيطانه وهو المؤمن - 00:15:54

قال فالمعية الخاصة التي للمؤمن مع ربه واله قد صارت لهذا الكافر والفاجر مع الشيطان مع نفسه وهواد وقربانه ولهذا صدر الاية بقوله ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم - 00:16:17

ولا يضرهم فلا يدركون من عبادتهم شيئا يعود عليهم بالنفع. قال وهذه العبادة بل فسرها هي الموالاة والمحبة والرضا بمعبوديهم الموالاة تقتضي النصرة والمحبة والرضا بمعبوديهم المتضمنة لمعيتيهم الخاصة ظاهروا اعداء الله على معاداته ومخالفته ومساخطه بخلاف وليه سبحانه فانه معه - 00:16:35

اي مع ربه على نفسه وشيطانه وهواد. وهذا المعنى من كنوز القرآن اي من مما فيه من ثمين المعاني ونفيتها. فالكنز هو الشيء الثمين المخبأ للظروف والمهمات لمن فهم وعقل وبالله التوفيق. نعم - 00:17:08

قال رحمة الله فصل قوله تعالى والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميان. هذا في صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان قال الله في جملة صفاتهم والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميان - 00:17:34

يبين معنى ذلك فيقول قال مقاتل اذا وعظوا بالقرآن لم يقعوا عليه صما لم يسمعوه. وعميانا لم يبصروا ولكنهم سمعوا وابصروا وايقنوا به وقال ابن عباس لم يكونوا عليها صما وعميانا بل كانوا خائفين خاشعين - 00:17:56

وقال الكلبي يخرون عليها سمعا وبصرا وقال الفراء اذا تلي عليهم القرآن لم يقعدوا على حالهم الاولى كانهم لم يسمعوه بذلك الغرور.

وسمعت وسمعت العرب تقول قعد يشتمني فقولك قام يشتمني واقبل يشتمني والمعنى على ما ذكر لم يصيروا عند - 00:18:17
انتهى صما وعميان وقال الزجاج المعنى اذا تلية عليهم خروا سجدا وبكيا سامعين مبصرين لما لما امروا به وقال ابن قتيبة اي لم ينفأفلا عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها - 00:18:44

قلت هنا امران ذكر الغرور وتسليط النفي عليه وهل هو خرور البدن للسجود وهل المعنى لم يكن خرورهم عن صمم وعمي ؟ فلهم عليها خرور بالقلب خضوعا او بالبدن سجودا او ليس هناك - 00:19:05

كفرور وعبر عن القعود وعبر عن القعود قوله تعالى والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا معناه ان من صفات عباد الرحمن انهم اذا ذكرهم مذكر بحجج الله - 00:19:24

وبراهينه لم يكونوا صما لا يسمعون ولا عميان لا يبصرون ولكنهم ايقاظ القلوب قلوبهم يقطة فهماء العقول يفهمون عن الله ما يذكرون به ويفهمون عنه ما ينبههم اليه يبعون المواقع التي - 00:19:54

جاءت بها الآيات ويسمعونها ويعقلونها وتعيها قلوبهم وقوله لم يخروا عليها صما وعميانا اي انهم لم يكون في نظرهم للقرآن على حال من لا يفقه ومن لا يسمع ومن لا يبصر - 00:20:22

كما قال الله تعالى لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم اذان لا يسمعون بها فاولئك قوم عمت ابصارهم وصمت اذانهم عن الحق فلا يسمعون الهدى ولا ولا يقيمون له وازنا - 00:20:54

فقوله لم يخروا عليها صما وعميان اي لم يصم عن الآيات ولا عموا عنها ولم يصيروا على باب ربهم صما وعميانا بل كانوا اهل بصر وفکر ونظر. قال رحمة الله في ختم البيان بعد ما ذكر قال قلت هنا امران - 00:21:17

ذكر الخرور هذا واحد وتسليط النفي عليه هذا اثنين لم يخروا فذكر الخرور ونفي وسلط عليهم فيه ثم قال وهل هو غرور القلب ام او خرور البدن للسجود؟ يكمل ان شاء الله - 00:21:42

في القراءة القادمة - 00:22:01